وربما كانت السياقات الجديدة التى دخلتها المأساة الفلسطينية، قدراً منتظراً لأفكار وقيادات جديدة.. فقصة «البرغوثى» بكل «الدراماتيكية» البادية فيها، تعتبر دلالة تدعو للتأمل، وبعيداً عن خيالات التآمر التى تنمو بشبق وحيوية داخل عقول الكسالى فقط، فإن «مروان البرغوثى» يبدو أنه يعرف جيداً الفرق ما بين «السلام» و«الاستسلام»، لأن العبرية التى يتقنها ومعسكر اليسار الإسرائيلى الذى يعرف أعضاءه عن قرب لم يمنعاه من العودة للكفاح المسلح والمقاومة، عندما تأكد بإدراكه من أن السلام الإسرائيلى مجرد مخطط متقن للإستسلام، وأتصور أن المستقبل - إن كان سيمر بوطننا العربى - سيكون لتلك الأفكار والعقول الجادة التى لم تمت قلوبها بعد، عقول تعرف الفروق بين الأشياء، لا تختلط فيها المفاهيم ولا تصاب بتصلب الشرايين، لا تملك وحدها الحقيقة والصواب ولا تدعى ذلك، تملك هدفاً مقدساً ووسائل بشرية، تعرف قَدَرَها وقدرتها، وإذا اختارت الاستشهاد فلأنه وسيلة وليس غاية.

طبيعى ألا يَسْلم «البرغوثى» من الانتقاد، لأنه ليس سهلاً أن -تصنع شيئاً أو- تملك فكراً وعقلاً وقلباً ذا أبعاد متعددة ويتركك الناس والتاريخ تمضى فى هدوء لحال سبيلك، لأن الجميع أصبحوا باهتين، لا تميزهم لا الاسماء ولا الأفكار - ولا حتى المشاعر ... متشابهين فى زمان متشابه ومشبوه نمضى، فمن حقنا ومن حق «مروان البرغوثى» أن نعايره بأبعاده ومهاراته المتعددة، نحن أصبحنا كائنات ذات بعد واحد، أصبحنا نشبه كثيراً حركة وصورة